

عفاً إن كنت غيوراً ما زنى قط غيور
وكيال الكل بالنقوى وقول الحق نور
ذي أصول الفضل عنها حدثت بعد البذور
ومما قلته أيضاً

زمام أصول جميع الفضائل عدل وفهم وجود وبأس
فمن هذه ركبت غيرها فمن حازها فهو في الناس رأس
كذا الرأس فيه الامور التي باء حساسها يكشف الالتباس

﴿ فصل في غرائب أخلاق النفس ﴾

يذني للعاقل أن لا يحكم بما يبدو له من استرحام الباكي
المتظلم وتشكيه وشدة تلوييه وتقلبه وبكائه فقد وقفت من بعض
من يفعل هذا على يقين أنه الظالم المعتدي المفرط الظلم ورأيت
بعض المظلومين ساكن الكلام معدوم التشكي مظهر آفة
المبالاة فيسبق الى نفس من لا يحقق النظر أنه ظالم وهذا
مكان يذني التثبت فيه ومغالبة ميل النفس جملة وأن لا يحيل
المرء مع الصفة التي ذكرنا ولا عليها ولكن يقصد الإنصاف
بما يوجبه الحق على السواء

من عجائب الاخلاق أن الغفلة مذمومة وان استعمالها

محمود وإنما ذلك لأن من هو مطبوع على الغفلة يستعملها في غير موضعها وفي حيث يجب التحفظ وهو متيّب عن فهم الحقيقة فدخلت تحت الجهل فنسبت لذلك . وأما المتيقظ الطبع فإنه لا يضع الغفلة إلا في موضعها الذي يذم فيه البحث والتقصي والتغافل فهما للحقيقة واضراباً عن الطيش واستعمالاً للحلم وتسكيناً للمكروه فلذلك حمدت حالة التغافل وذمت الغفلة وكذلك القول في اظهار الجزع وإبطانه وفي اظهار الصبر وإبطانه فإن اظهار الجزع عند حلول المصائب مذموم لأنه عجز مظهره عن ملك نفسه فأظهر أمراً لا فائدة فيه بل هو مذموم في الشريعة وقاطع عما يلزم من الاعمال وعن التأهب لما يتوقع حلوله مما اعلمه أشنع من الامر الواقع الذي عنه يحدث الجزع فلما كان اظهار الجزع مذموماً كان اظهار ضده محموداً وهو اظهار الصبر لأنه ملك للنفس وإطراح لما لا فائدة فيه وإقبال على ما يمود وينتفع به في الحال وفي المستقبل وأما استيطان الصبر فمذموم لأنه ضعف في الحس وقسوة في النفس وقلة رحمة وهذه أخلاق سوء لا تكون إلا في أهل الشر وخبث الطبيعة وفي النفوس السبعية الردية فلما كان

ما ذكرنا يقبح كان ضده محموداً وهو استبطان الجزع لما
في ذلك من الرحمة والشفقة والفهم بقدر الرزية فصح بهذا أن
الاعتدال هو أن يكون المرء جزوع النفس صبور الجسد بمعنى
أنه لا يظهر في وجهه ولا في جوارحه شيء من دلائل الجزع .
ولو علم ذو الرأي الفاسد ما استضر به من فساد تدبيره في
السالف لا ينجح بتركه استعماله فيما يستأنف وبالله التوفيق
* فصل في تطالع النفس الى ما يستر عنها من كلام مسموع

أو شيء مرئي أو الى المدح وبقاء الذكر *

هذان أمران لا يكاد يسلم منهما أحدهما إلا ساقط المهمة
جداً أو من راض نفسه الرياضة التامة وقع قوة نفسه
الغضبية قماً كاملاً أو عانى مداوة شره النفس الى سماع كلام
تستر به عنها أو رؤية شيء اكتتم به دونها أن يفكر فيما غاب
عنها من هذا النوع في غير موضعه الذي هو فيه بل في أقطار
الارض المتباينة فإن اهتم بكل ذلك فهو مجنون تام الجنون
عديم العقل البتة . وان لم يهتم لذلك فهل هذا الذي اختفي به
عنه الا كسائر ما غاب عنه منه سواء بسواء ولا فرق . ثم
انزد احتجاجاً على هواه فليقل بلسان عقله لنفسه يا نفس